

التفكير النقدي



مقدمة

التفكير النقدي؛ مهارةُ الفهم العميق وبناء الوعي في عالم تتسارع فيه حركةُ المعلومات، وتتعدّد فيه مصادرُ المعرفة، وتنتشر فيه الآراءُ والأفكار بصورة غير مسبوقة، أصبح امتلاك القدرة على التفكير السليم والتحليل الواعي من أهمّ مهارات الإنسان المعاصر. فليس كلّ ما يُداول من أفكار أو أخبار أو تحليلات جديرًا بالقبول، كما أنّ رفض الأفكار لا يكون موقفًا علميًا ما لم يستند إلى منهج واضح ومعايير دقيقة.

والتفكيرُ النقدي ليس دعوةً إلى الشكّ الدائم أو رفض ما يقدّمه الآخرون، بل هو قدرةٌ عقلية تقوم على الفهم العميق، وتحليل المعلومات، وتمييز الحجج، وتكوين الآراء قبل تبنيّها أو رفضها. إنّهُ انتقالٌ بالعقل من مجرد تلقي الأفكار إلى فحصها، ومن الانفعال بالمواقف إلى بناء الأحكام على أساس الدليل والبرهان. وقد عرفت الحضارات العلمية المختلفة أشكالاً متعدّدة من هذا الانضباط العقلي، حيث قامت علومٌ كثيرة على التحقق والنظر والموازنة بين الأدلة، ومن ذلك ما نجده في مناهج البحث في العلوم الإسلاميّة، كالفقه والحديث والتفسير، التي اعتمدت قواعد دقيقة لفهم النصوص وتمييز الصحيح من غيره.

وانطلاقاً من أهمية هذه المهارة في تشكيل الوعي الفردي والجماعي، تقدّم «الأفاق» في هذه الزاوية سلسلةً معرفيّة حول التفكير النقدي، تسعى إلى التعريف بمفاهيمه الأساسية ومهاراته العملية، وتقديم نماذج تطبيقية تساعد القارئ على تنمية قدرته على التحليل والفهم واتخاذ المواقف الواعية. وتتكوّن هذه السلسلة من **سِتّة فصول** رئيسية، يضمّ كلّ فصلٍ منها مجموعةً من الموضوعات المتنوّعة، تبدأ من الأسس الأولى للتفكير النقدي، وتنتقل تدريجيّاً إلى مهاراته المتقدّمة وتطبيقاته في مجالات الحياة والمعرفة المختلفة.

الفصل الأول: الأسس-لماذا وكيف نفكر؟

العدد الأول: لماذا ينخدع حتى أدّكي الناس؟

منذ سنواتٍ طويلة، يُطرح في الأوساط العلميّة سؤالٌ مهمّ: لماذا يعجز بعض الأشخاص الأذكياء والمتعلمين أحياناً عن اكتشاف أبسط المغالطات، فيقعون ضحية إعلانٍ ناقص أو إشاعةٍ لا تستند إلى أساس؟ إنّ الجواب يكمن في جانبٍ لا يحظى غالباً بالاهتمام الكافي؛ فالذكاء هو القدرة على حلّ المشكلات، أمّا التفكير النقدي فهو القدرة على تقييم المشكلة قبل الشروع في حلّها. وهذان أمران مختلفان.

يعرّف ريتشارد بول وليندا إلدر، وهما من مؤسّسي «مؤسّسة التفكير النقدي»، التفكير النقدي في مؤلفاتهما المتعدّدة بأنّه ليس موهبة فطرية، بل مهارةٌ يمكن تعليمها وتطويرها من خلال التدرّب على معرفة عناصر الاستدلال والالتزام بمعايير التفكير السليم. وبعبارة أبسط: إنّ العقل الإنساني يفكر بصورة تلقائية، غير أنّ هذا التفكير التلقائي ليس بالضرورة منظماً أو دقيقاً أو منصفاً؛ ولذلك يحتاج إلى توجيه وضبط.

ومن الأمثلة المألوفة في مجال علومنا الإنسانيّة: أنّ علمَ الرجال والدراية، الذي يُستخدم في الحوارات العلميّة الشيعيّة للتحقق من حجّية الروايات من خلال دراسة أحوال الرواة، لا يقبل أبداً اعتماد روايةٍ لمجرد «شهرتها» أو «قدّمها»، من دون فحص سلسلة السند والتحقّق من وثاقة الرواة. وهذه المنهجية العقلانيّة المنضبطة - التي مارسها علماء الرجال قبل قرون من شيوع مصطلح «التفكير النقدي» في الغرب - تمثّل نموذجاً أصيلاً لتجنّب التسليم الساذج بالادعاءات. إنّ التفكير النقدي ليس مرادفاً للتشاؤم؛ فالمتشائم هو من قرّر مسبقاً ألاّ يصدّق شيئاً، أمّا المفكرُ النقدي فهو الذي يسأل قبل القبول أو الرفض: «ما الدليل على هذا الادعاء؟ وهل هذا الدليل كافٍ؟»

تدريب هذا العدد:

خلال يوم واحد، كلّما صدّقت خبراً أو منشوراً أو إشاعة، اسأل نفسك: لماذا صدّقت هذا الأمر؟ هل كان السبب مجرد أنّ المصدر بدا «موثوقاً» بالنسبة إلّي، أم أدّني تحقّقت فعلاً من وجود دليلٍ وشاهد؟

الخلاصة:

الذكاء من دون انضباط فكري لا يشكّل ضمانّةً للابتعاد عن الخطأ؛ فالتفكير النقدي يعني الاستخدام المنهجي للعقل، لا مجرد امتلاك عقلٍ قوي.

السؤال: ما هو الشيء الإيجابي الذي قدّمته الأديان للبشرية؟

الجواب:

يفترض هذا السؤال أحياناً أنّ الأديان لم تقدّم للبشرية شيئاً ذا قيمة، غير أنّ هذه الدعوى لا تنسجم مع حقيقة التاريخ؛ فحتى غير المؤمنين بالدين لا يستطيع إنكار أن الأديان كانت من أبرز القوى التي أسهمت في تشكيل الضمير الأخلاقي، وترسيخ مفاهيم المسؤولية، والأُسرة، والتكافل الاجتماعي، ومعنى الحياة لدى ملايين البشر.

إنّ أعظم ما قدّمه الدين للإنسان هو أنّه منحه رؤيةً متكاملةً للوجود، تقوم على التوحيد والإيمان بأنّ الكون ليس نتيجة عبثٍ أو صدفة عمية، وأنّ الإنسان ليس مجرد كائنٍ مادي ينتهي وجوده بالموت، بل مخلوق له غاية ومسؤولية ومصير. قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾. فالعلم يجب عن كثير من الأسئلة

المتعلّقة بكيفية عمل الكون والإنسان، لكنه لا يجيب بذاته عن الأسئلة الكبرى: لماذا وُجد الكون؟ وما الغاية من وجود الإنسان؟ ومن هنا يمنح الإيمان الإنسان إطاراً يفسّر معنى الحياة، ويجعل وجوده مرتبطاً بخالق حكيم وهدف أعلى من المصالح المؤقتة.

ومن هذه الرؤية تنبثق منظومة الأخلاق؛ فالعدل في المنظور الديني ليس مجرد اتفاق اجتماعي قابل للتغيير بحسب قوة الأطراف ومصالحها، بل قيمة ثابتة لها أساس متعال. كما أنّ كرامة الإنسان ليست منحةً تمنحها سلطة أو مجتمع، بل هي أصل ثابت لأنّ الله كرم بني آدم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾. كما أعطى الدين للعدالة امتداداً يتجاوز حدود الحياة الدنيا؛ فالإيمان بالأخرة يقدّم جواباً عن مشكلة المظالم التي لا تجد طريقها إلى الإنصاف في هذه الحياة، ويؤكد أنّ أعمال الإنسان لا تضيع: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ

* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾. ومن هنا اكتسبت التضحية والصبر والثبات على الحق معنى يتجاوز الربح والخسارة العاجلة. ولم تبقَ هذه الرؤية في إطار الأفكار المجرّدة، بل تحوّلت إلى منظومة اجتماعية تدعو إلى رعاية الفقراء والأيّام، وتعزيز التكافل، وحفظ الأسرة، والوفاء بالعهد، وتحريم الظلم والخيانة وأكل أموال الناس بالباطل. كما دعا القرآن إلى العدل حتّى مع المخالفين: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَآنِ قَوْمٍ عَلَىٰ آَلَا تَعْدِلُوا غَدُوتُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

وقد أسهمت الأديان عبر التاريخ في بناء مؤسسات التعليم والرعاية والأوقاف وخدمة المجتمع. ولا يعني ذلك أنّ جميع أتباع الأديان كانوا دائماً ملتزمين بهذه القيم؛ فقد وقعت أخطاء وجرائم باسم الدين، كما وقعت باسم القومية والسياسة والمصالح الاقتصادية. لكن سوء تطبيق الفكرة لا يلغي قيمة الفكرة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه أصحاب السلطة خشية الخطر، واستبدلوا السيف بلسانٍ حاٍ ينهش أعراض أصحاب الفضائل. لقد متّبوا جام اتهاماتهم على كل ذي علم والنهي عن المنكر، فكان مصيرهم القتل. لقد أشرنا سابقاً إلى أن سمات الجُمود والجهل والتعسف (التنسك) والتقديس المفرط والضيق المذهبي قد استمرت في العصور اللاحقة، إلا أن قيم الشجاعة والبسالة والتضحية قد ثلاثت. وبذلك تحول "الخوارج" إلى "مقدسين جبناء"؛ فوضعوا السيف جانباً، وتخلّوا عن ممارسة

"موافقان و مخالفان عرفان در حوزه علمیه قم" (المؤيّدون والمعارضون للعرفان في الحوزة العلمية بقم)

انّثرت ضغوط المعارضين على خطاب المؤيدين وصاغت ملامحه؛ ويحصر الباحث بحثه في البعد المعرفي فقط، متجنباً الدخول في الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا النزاع، بوصفه فجوة بحثية لم تُدرس سابقاً بمنظور شامل (كلي) بدل التركيز على سيّر شخصيات بعينها.
منهج الدراسة
يتناول البحث ظاهرة الصراع الفكري بين مؤيدي التوجه العرفاني ومعارضيه داخل الحوزة العلمية في مدينة قم، منذ تأسيسها على يد الشيخ عبد الكريم الحائري وحتى الوقت الراهن. ينطلق الباحث من التمييز بين نوعين من التجاذب في تاريخ هذه الحوزة: تجاذب سياسي-اجتماعي حول العلاقة بالحكم، وتجادب معرفي-علمي حول مكانة العرفان والحكمة في المنظومة الدينية، وهو الأخير موضوع الدراسة.
سؤال البحث وإشكاليته
يسعى المقال إلى الإجابة عن سؤال مركزي: ما الذي نتج عن هذا الصراع التاريخي بين أنصار العرفان ومعارضيه في قم من حيث تأثيره المعرفي؟ وكيف أثّرت ضغوط المعارضين على خطاب المؤيدين وصاغت ملامحه؛ ويحصر الباحث بحثه في البعد المعرفي فقط، متجنباً الدخول في الأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا النزاع، بوصفه فجوة بحثية لم تُدرس سابقاً بمنظور شامل (كلي) بدل التركيز على سيّر شخصيات بعينها.

أبرز الأفكار والنتائج

يبيّن الباحث أن التوجه العرفاني في قم نشأ من امتزاج مدرسة الحكمة في طهران مع طريقة "الأخلاقيين"

نفسها، كما أنّ جرائم بعض أتباع أي مبدأ لا تكفي للحكم على المبدأ ذاته. إنّ الإنصاف يقتضي ألاّ ننسب إلى الدين أخطاء أتباعه ونحرّمه من آثارهم الإيجابية؛ فكما أنّ انحراف بعض المتدنيين لا يمثّل جوهر الدين، فإنّ أعمال الخير التي يقوم بها المؤمنون كثيراً ما تكون ثمرة مباشرة لقيم دينية غرست فيهم معنى الرحمة والمسؤولية والتضحية.

وخلاصة القول: إنّ أعظم ما قدّمه الدين للبشرية أنّه منح الإنسان تفسيراً لوجوده، وجعل للكون معنى، وللحياة غاية، وللأخلاق أساساً يتجاوز الأهواء والمصالح. ومن هذه الرؤية نشأت مفاهيم الكرامة والعدل والرحمة والتكافل وضبط القوة والشهوة والمصلحة، ليعيش الإنسان بوصفه كائناً مسؤولاً أمام الله وأمام نفسه والآخرين.

المصدر: مركز الرصد العقائدي (باختصار)

لماذا تعرض العديد من أصحاب الفضائل، كابن سينا، لاتهامات بالكفر؟

لو اتخذنا أحكام هؤلاء السفهاء ميزاناً، لما وجدنا في التاريخ عالماً مسلماً حقيقياً واحداً.

وحينما يُكفّر الإمام علي ؟ع؟، فإن المصير يصبح جلياً للآخرين. ومن الذين ترجعوا من هذا الكأس: ابن سينا، والخواجة نصير الدين الطوسي، وصدر المتألهين الشيرازي، والفيض الكاشاني، وسيد جمال الدين الأسديآدي، وصولاً إلى محمد إقبال الباكستاني في العصر الحديث.

المصدر: الأستاذ مطهرى، "جاذبة ودافعة علي (ع)"، ص ١٣٩ - ١٤١.

القيمة العلمية

تكمّن الأهمية الرئيسة للبحث في تقديمه أول قراءة شاملة (لا جزئية) لخريطة الصراع العرفاني داخل حوزة قم عبر قرن كامل، وفي كشفه عن الآليات الخطابية التي استخدمها المؤيدون لحماية أنفسهم من تهمة التصوف (كالتمييز اللغوي بين "عارف" و"صوفي")، وعن الأثر التكويني الذي تركته ضغوط المعارضين على صياغة خطاب المؤيدين أنفسهم.

تقييم تحريري

يمتاز البحث بحياده المعلن ومحاولته الجادة لوصف موضوعي غير منحاز لأي من الطرفين، وبتوثيقه الغني بأقوال الطرفين المتنازعين مباشرة. غير أن اقتصراره على قم دون توسيع المقارنة مع مراكز حوزوية أخرى (مشهد، أصفهان) يبقيه محدود النطاق جغرافياً كما يعترف المؤلف نفسه. يفيد المقال الباحثين في علم الكلام الشيعي المعاصر والدارسين لتاريخ الحوزات العلمية وعلاقة التصوف بالتنشيع الإمامي.

قَبَسٌ مِنْ نُور

حين يكشف حرف باباً من التحير

م.د. أحمد باقر الطويل

كم مرة مررنا على آيةٍ من القرآن ونحن نظن أننا فهمناها من أول قراءة؟ وكَم مرة كانت كلمةً واحدة، أو حرف واحد، كافياً لأن يفتح أمامنا معنى لم تكن تلنتف إليه؟ فالقرآن لا يختار ألفاظه اعتباطاً، ولا ينتقل من صيغةٍ إلى أخرى من غير حكمة. وكلما توقف الإنسان عند طريقة القرآن في التعبير، لا عند المعنى العام فقط، انفتح له بابٌ جديد من التدبر.

ومن الآيات التي تستوقف المتأمل قوله تعالى بعد ذكر قوم لوط وأصحاب الأيكة: ﴿وإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَنَظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِغَامٌ مِّمَّنْ (٧٩)﴾، (الحجر: ٧٨-٧٩). وهنا يبرز سؤال صغير في ظاهره، لكنه يفتح معنى واسعاً: لماذا بدأ السياق بالجمع: «أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ»، ثم قال: «مِنْهُمْ»، ثم انتقل فجأةً إلى المثنى:﴿وَإِنَّهُمَا؟﴾

إذا كان الحديث عن أصحاب الأيكة، فلماذا لم يقل: "وإنهم؟" رحل الظالمون، لكن بقيت ديارهم شاهدةً على ما صنعوا.

وهنا يصبح المكان نفسه رسالة. فالإنسان قد لا يرى أصحاب الأيكة، ولا يرى قوم لوط، لكنه يستطيع أن يرى آثارهم، فيقرأ في تلك الآثار درساً لا يقل أثرًا عن قراءة الكلمات. ثم تأتي العبارة الأكثر إثارة للتأمل: ﴿لِبِغَامٍ مِّمَّنْ﴾.

لماذا قال القرآن: "بِغَام"؟

الإمام في الاستعمال القرآني أوسع من أن يكون مجرد شخص يتقدم الناس؛ فهو ما يُؤتمّر به ويُتَّبَع ويقود إلى مقصد. ولذلك وصف الله تعالى الكتاب بقوله:﴿وَمِن قِبَلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾، كما تحدث عن أئمةٍ يهدون بأمر الله، وعن أئمةٍ يدعون إلى النار.

وهنا تتسع الدلالة.

فالإمام ليس بالضرورة شخصاً فقط، بل قد يكون كل ما يتخذهُ الإنسان متقدماً عليه في طريقه، وبترك له أثراً في اتجاهه وقراراته.

ولهذا يمكن أن يصبح الطريق إماماً إذا كان يقود الإنسان إلى غاية، ويمكن أن يصبح التاريخ إماماً إذا أحسن الإنسان قراءته، ويمكن أن تصبح آثار الأمم إماماً حين تقود الإنسان إلى العبرة. فديار الأمم الهالكة ليست مجرد أماكن مرّ بها التاريخ، وإنما شواهد يمكن أن تقود من يراها إلى حقيقة أكبر: أن الظلم لا يدوم، وأن السنن الإلهية لا تتغير بتغير الأزمنة والأسماء.

ومن هنا يظهر سؤالٌ أشدّ قرناً من حياتنا: من هو إمامك؟ وإلى أين يقودك؟

فالإنسان لا يعيش بلا ما يقوده، حتى وإن ظن أنه يعيش بلا إمام. قد يتبع عالماً، أو فكرة، أو رغبة، أو هوى، أو دنيا، أو مبدأ، وكل ما يتقدمه في مسيره ويؤثر في اتجاهه يصبح له بمنزلة الإمام. ولهذا لم يجعل القرآن القضية: هل تتبع أم لا؟ وإنما يجعلها أيضاً: من تتبع؟ وإلى أين يقودك اتباعك؟

فقد يكون ما تتبعه هداباً بنا إلى الحق، وقد يكون قائداً بنا إلى الضلال. وهنا تعود الآية إلى بدايتها، ونكتشف أن السؤال من ضمير صغير قادنا إلى سؤال كبير عن طريقة قراءة القرآن، وعن معنى الاقتداء، وعن الطريق الذي يسلكه الإنسان في حياته.

وربما كان هذا هو جمال التدبر.

أن تتوقف عند كلمةٍ ظنننها عابرة، فتكتشف أنها لم تكن عابرة.

أن تسأل: لماذا قال القرآن "هما" ولم يقل "هم"؟ ولماذا قال "إمام" ولم يقل مجرد "طريق"؟ ثم تكتشف أن السؤال اللغوي قد يقودك إلى سؤال عن التاريخ، والاقتداء، والهداية، وعن نفسك أنت. فالقرآن لا يطلب منا أن نكرر من التلاوة فقط، وإنما أن نفتح عقولنا وقلوبنا لما وراء الألفاظ. قال تعالى: ﴿كَتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، (ص: ٢٩).

فقد نقرأ سورة كاملة، ونمر على عشرات الآيات، ثم تكون كلمةً واحدة هي التي توقف فينا سؤالاً لم تكن نعرف أننا نحتاجه. ولعل هذا هو أحد أبواب القرآن التي لا تنتهي: أن كلما نقرأه النظر فيه، اكتشفنا أن وراء ما اعتدنا قراءته معنىً جديداً ينتظر أن نتوقف عنده. فلا تجعل قراءتك للقرآن مروراً على الكلمات فقط.

توقف عندها. اسأل عنها.

وتأمل لماذا اختار الله هذا اللفظ دون غيره. فربما كان الحرف الذي مررت عليه سريعاً هو الباب الذي كان ينتظر منك أن تطرقه.